

(١)

المفاهيم الصحيحة للهجرة إلى الله ورسوله

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، **وبعد:**

فنحن على مشارف عام هجري جديد نسأل الله (عز وجل) أن يجعله عام خير ويمن وبركة، وأمن وأمان على مصرنا الغالية وسائر بلاد العالمين. وحين نتأمل العام الهجري نجد أن الله (عز وجل) قد ربط بين بدايته ونهايته بروابط وأحداث عظام، فجعل في بدايته هجرة النبي (صلى الله عليه وسلم)، وفي نهايته أداء فريضة الحج، فهما رحلتان عظيمتان فيهما إقبال على الله (عز وجل) وعمل على مرضاته.

ولقد كانت هجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) حدثا تاريخيا عظيما غير مجرى التاريخ البشري، إذ كانت بداية بناء دولة قوية على أسس راسخة من العدالة والمساواة، وحفظ الكرامة الإنسانية، وترسيخ فقه التعايش السلمي، والقيم الإنسانية ومكارم الأخلاق التي قامت عليها الرسالة المحمدية، بما قررت من حريات وحقوق، وعدالة إنسانية ترعى جميع أبناء المجتمع دون تمييز بينهم.

وقد جمع الله (عز وجل) في الهجرة النبوية بين التأيد الإلهي للنبي (صلى الله عليه وسلم)، وبين التخطيط البشري الذي يتجلى في أخذه (صلى الله عليه

(٢)

وسلم) بالأسباب المعينة على إتمام الهجرة ونجاحها ، فلم تكن الهجرة حدثاً شخصياً يرتبط بحياة النبي (صلى الله عليه وسلم) فحسب ، بل كانت انتصاراً لدين الله (عز وجل) ، كما كانت حدثاً فاصلاً بين عهد الضعف وعهد العزة والانتصار ، وقد مكّن الله (عز وجل) بها لنبيه (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه الكرام ، فملأوا الدنيا عدلاً وبراً وسماحة .

إن الهجرة إلى الله ورسوله صورة من أسمى وأجل صور الطاعة لله (عز وجل) ، ومقاومة قوى الشر والفساد ، وبذل المال والنفس لنصرة دين الله ، فالهجرة ليست مجرد انتقال من مكان إلى مكان ، فقد انقطعت الهجرة بمعنى الانتقال من وطن إلى وطن ، فعن ابن عباسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ) ، أي لا هجرة بعد فتح مكة ، ولما جاء صفوان بن أمية مهاجراً بعد الفتح ، قال له النبي (صلى الله عليه وسلم) : (مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا وَهَبٍ؟ قَالَ: قِيلَ إِنَّهُ لَا دِينَ لِمَنْ لَمْ يُهَاجِرْ ، فقال له النبي (صلى الله عليه وسلم) : (ارْجِعْ أَبَا وَهَبٍ إِلَى أَبَاطِحِ مَكَّةَ ، فَقَرُّوا عَلَيَّ مِلَّتِكُمْ ، فَقَدْ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِنْ اسْتُنْفِرْتُمْ ، فَأَنْفِرُوا) ، وبقي معناها العظيم بالهجرة المعنوية بانباع أوامر الله (عز وجل) واجتناب نواهيه ، فالمهاجر الحقيقي هو من هجر ما نهى الله عنه.

وإذا كان أمر الهجرة كتحويل من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة قد انتهى بفتح مكة فإنه ينبغي علينا أن نحصر على كل معاني الهجرة النبيلة، كحسن الأخذ بالأسباب تعلمًا ، وتعليمًا ، وتخطيطًا ، وعملاً ، وإنتاجًا ، وإتقانًا ، بالتحويل من البطالة والكسل إلى الجد والعمل والإتقان ، ومن الأثرة والأنانية والعصبية الجاهلية إلى

الإيثار والإخاء الإنساني الصادق ، والإيمان بالتنوع ، وحق الإنسان في الاختيار ، وحرية المعتقد ، وعلاقات حسن الجوار ، والعمل على بناء الإنسان إيماناً ، وعلمياً ، وفكرياً ، وسلوكياً ، وأخلاقياً ، واقتصادياً ، واجتماعياً ، بناء سليماً راسخاً ، يحقق صالح البشرية جمعاء ، ويحفظ كرامة الإنسان كإنسان ، فديننا دين الإنسانية والسلام والإيمان بالتعدد والتنوع ، وتأصيل وترسيخ أسس العيش المشترك بين البشر ، ونبينا (صلى الله عليه وسلم) نبي الإنسانية ورسول السلام ، ورحمة الله للعالمين ، صلوات ربنا وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن المفهوم الحقيقي للهجرة إلى الله ورسوله يتمثل في كونه سلوكاً إيمانياً وضع النبي (صلى الله عليه وسلم) ضوابطه بقوله : (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) ، هذه الضوابط تركز على أساس متين من طاعة الله تعالى وطاعة رسوله (صلى الله عليه وسلم) والاستقامة على منهج الإسلام ، وهجر ما حرم الله ورسوله من الأخلاق الذميمة ، والعادات السيئة ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ) ، وحين سئل النبي (صلى الله عليه وسلم) أَيُّ الْهَجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ : (مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ) ، وفي رواية : (يا رسول الله ، أَيُّ الْهَجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ : (أَنْ تَهْجَرَ مَا كَرِهَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ) ، ولما سألته أُمُّ سَلِيمٍ (رضي الله عنها) فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْصِنِي. قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (اهْجُرِي الْمَعَاصِيَ ، فَإِنَّهَا أَفْضَلُ الْهَجْرَةِ ، وَحَافِظِي عَلَى الْفَرَائِضِ فَإِنَّهَا أَفْضَلُ الْجِهَادِ ، وَأَكْثَرِي ذَكَرَ اللَّهِ فَإِنَّكَ لَا تَأْتِينَ

(٤)

اللَّهُ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِهِ).

فمفهوم الهجرة الحقيقي إلى الله (عز وجل) يعني أن نهجر المعاصي والذنوب وأن نهجر الكسب الحرام ، والعمل الحرام ، وكل ما حرم الله ورسوله ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتَّقَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ) ، ويقول أبي بن كعب (رضي الله عنه) : " ما من عبد ترك شيئاً لله إلا أبدله الله به ما هو خير منه من حيث لا يحتسب" ، وهذا ما أكده العز بن عبد السلام بقوله: "الهجرة هجرتان: هجرة الأوطان ، وهجرة الإثم والعدوان ، وأفضلهما هجرة الإثم والعدوان ؛ لما فيها من إرضاء الرحمن ، وإرغام الشيطان" ، فعلينا أن نهجر إلى الله (عز وجل) بقلوبنا وأرواحنا ، وأن لا نسيئ إلى الإسلام بأفعالنا وتصرفاتنا الخاطئة ، وأن يعمل كل منا على أن يكون عنواناً للإسلام وصورة مشرفة له . كما يتضمن المفهوم الحقيقي للهجرة : وجوب التوبة إلى الله (عز وجل) ، وهجر أماكن السوء ، والبعد عن أهل السوء ، لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ ، وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ) ، فالإنسان العاقل هو الذي يجالس أهل الخير ويصاحبهم ، ويجتنب أهل الشر ولا يجالسهم .

فمن أراد الهجرة الحقيقية إلى الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم) فليسارع إلى فعل الطاعات والفرائض التي فرضها الله (عز وجل) عليه ، وليجتهد في طاعة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وليترك المحرمات ويتعد عن معصية الله تعالى ومعصية رسوله ، قال سبحانه: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ

(٥)

وَرَسُولُهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلُهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ}، وقال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} فحقيقة الهجرة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هي الأخذ بسنته والاهتداء بهديه والتخلق بأخلاقه ، قال سبحانه : {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

إخوة الإسلام :

إن الواقع الذي نعيشه يؤكد أننا في أمس الحاجة إلى هجرة حقيقية إلى الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) توقظ الضمائر ، وتحي القلوب ، فالهجرة التي نحتاجها في زماننا هذا هي الهجرة من الفساد والهدم والتخريب ، إلى الإصلاح والبناء والتعمير ، ومن الكذب والغدر والخيانة إلى الصدق والوفاء والأمانة ، ومن الأثرة والأنانية إلى التكافل والتراحم ، ومن سيئ الأخلاق إلى صالحها ومكارمها في سائر المعاملات ، والهجرة من التدين الشكلي إلى التدين الحقيقي ، ومن المتاجرة بدين الله (عز وجل) إلى خدمة هذا الدين لا استخدامه.

إن الهجرة نوعان ، الأول: الهجرة الشرعية وهي الهجرة إلى الله ورسوله بترك المعاصي والذنوب ، والتحول الإيجابي من البطالة والكسل إلى الإنتاج والعمل.

والنوع الثاني: الهجرة غير الشرعية التي تقوم على مخالفة القوانين والتشريعات المنظمة لعلاقات الدول ، حيث يعتمد بعض الناس إلى الهجرة والتسلل عبر البحار والمحيطات والصحراء والجبال ، كما أنها هجرة غير مشروعة لما فيها من انتهاك للقوانين التي تنظم العلاقات بين الدول ، ولما فيها من تعريض النفس للمخاطر والهلاك أو المهانة والإذلال ، ذلك أن المهاجرين غير الشرعيين يعرضون أنفسهم لأمرين : الأول : هو الهلاك ، والله (عز وجل) نهى عن ذلك بقوله تعالى: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} ، والثاني: هو المهانة إن نجوا من الهلاك ، والنبى (صلى الله عليه وسلم) يقول : (لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ). قالوا: وكيف يذل نفسه؟ قال: (يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ) ، وأشد منهم جرماً هؤلاء المتاجرون بمعاناتهم في عملية أشبه ما تكون بتجارة البشر ، مع تأكيدنا أن حرمة الأوطان كحرمة البيوت ، وكما لا ينبغي اقتحام بيت أحد بدون إذنه يجب ألا نقتحم الدول بدون إذن أصحابها ، وهذا الإذن هو المتمثل في تصريح أو تأشيرة دخول ، وبدون ذلك يكون دخول الدول غير شرعي ، والهجرة إليها غير مشروعة.

ومن ثم يجب أن نعمل جميعاً على تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى شبابنا عن الهجرة ، وأن نوكد لهم بأن هذه الهجرة التي يمكن أن تؤدي إلى الهلكة ليست من الإسلام في شيء ، مع بيان أن الإيمان بالقضاء والقدر لا يعني أبداً إلقاء النفس إلى التهلكة، وأن الهجرة غير الشرعية اعتداء على حرمة الآخرين، لأن الاستئذان في دخول الأوطان كالأستئذان في دخول البيوت.

اللهم فقهننا في ديننا ودنيانا واحفظ مصرنا
واجعلنا من الراشدين